الآيات التي نصّ المفسّرون على أنّ فيها أدبًا مع الله تعالى دراسة موضوعية

د ٠ نوال بنت ناصر الثويني (*)

المقدمة :

الأدب: زينة للإنسان، ودليل على سموّ عقل صاحبه، ورقيّه وكماله، وعلامة على نبل المتصف به، وبكمال الأدب تظهر ثمرة العبودية والمقصودُ منها، كما يقول الفيروز آبادي(١)، ولهذا كان السلف يتعلّمونه مع العلم، وربما صرّحوا بأنّهم أهمّ من العلم، ولهذا ورد عن غير واحد منهم أنه كان يقول: "نحن إلى قليل من الأدب أحوج منّا إلى كثير من العلم"(٢).

والأدب مع الله أسُّ الآداب وعمادها، ولهذا قال يحيى بن معاذ: "إذا ترك للعارف أدبه مع معروفه فقد هلك مع الهالكين"(٣)؛ فترك الأدب مع الله ربما يكون سببًا يوجب الطرد والهلاك، والتزام الأدب يكون على مراتب: منها ما هو واجب التزامه، ومنها ما هو من كمال ومحاسن الأخلاق، والتزام الجمال والذوق.

وأولى الآداب ما كان مع الله جلّ شأنه وتقدّست صفاته، ولقد ورد في القرآن الكريم ما يُرشد إلى التزام الأدب مع الله، ولو كان ظاهر اللفظ أو مقتضى صناعة

(*) الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم.

(١) ينظر: المغانم المطابة في معالم طابة للفيرز آبادي (١٥٣/١).

(٢) ينظر: الرسالة القشيرية (٤٤٧/٢)، لباب الآداب لأسامة بن منقذ (٢٣١/١).

(٣) الرسالة القشيرية (٤٤٦/٢).

الكلام تقتضي خلاف ذلك، ولهذا اعتنى بذلك المفسّرون أيما عناية، فنجدهم ينصّون بأنّ هذه العبارة عُدل بها عن الأصل؛ لغرض التأدّب مع الله عزّ وجل، وحفظ مقام العليّ القدير، ومن خلال القراءة والاطلاع في كتب التفسير تكررت عبارة: (وهذا من الأدب مع الله تعالى، وهذا فيه تأدّبٌ مع الله تعالى، من باب الأدب مع الله تعالى ونحو ذلك) فتولّد عندي فكرة البحث في هذا الموضوع؛ لغرض إظهار هذا النوع من التأويل؛ ليتعلّم العامّة وطلبة العلم أعظم أدبٍ يجب التحلّي به، وهُديت إلى أن يكون هذا البحث بعنوان" الآيات التي نصّ المفسّرون على أن فيها أدبًا مع الله تعالى. دراسة موضوعية".

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في إثبات دلالات آيات القرآن الكريم التي تحثّ على أحسن الخُلُق في الأدب مع الله تعالى، في التوكّل عليه، وإسناد الأمر له، فلا شيء يكون إلا بأمره سبحانه، إلاّ أنّ التأدّب معه يقتضي تعلّم صيغ ذلك عند الدّعاء باختيار أفضل أساليب الثناء على الله سبحانه، ويمكن تحديد هذه المشكلة في التساؤلات التالية:

١. ما الآيات التي نصّ المفسرون أنها أدب مع الله تعالى؟

٢. ما الأسباب التي دعت المفسرين إلى القول بأنها أدب مع الله تعالى؟

٣. ما وجه كون هذه الآيات من باب الأدب مع الله؟

أهداف البحث:

بحول الله تعالى يُتوقّع من البحث تحقيق جملة من الأهداف لعل من أهمها ما يأتي:

١. بيان الآيات القرآنية التي راعت الأدب مع الله تعالى.

٢. بيان الأسباب التي دعت المفسرين للقول بأنها أدب مع الله.

٣. العناية ببيان وجه كون هذه الآيات من باب التأدّب مع ذات الله العليّة.

٤. بيان الأساليب التي سلكها الأنبياء وغيرهم في الأدب مع الله.

الدراسات السابقة:

بعد التتبع والاطلاع على مراكز البحوث وقواعد البيانات عبر المحركات التقنية لم أقف على أي دراسة في هذا النوع من البحوث.

منهج البحث:

ستكون بحول الله تعالى منهجية البحث (المنهج الاستقرائي الاستنباطي) وذلك من خلال استقراء الآيات ذات الصلة، واستنباط دلالات المفسرين في التأويل للآيات، للدلالة على أنها أدب معه سبحانه، ودراستها دراسة موضوعية.

الإضافة العلمية وأهمية البحث:

يضيف البحث إلى المكتبة العلميّة إضافة علميّة نوعية، ويمكن إجمالها في الآتي:

١. إظهار نوع من أنواع البلاغة القرآنية التي نصّ عليها العلماء لتأكيد بلاغة القرآن الكريم، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

٢. جمع المفرّق وترتيب المشتّت مما نصّ العلماء على أنّه من باب الأدب مع الله عزّ وجل.

٣. محاولة بيان الأسباب التي دعت إلى القول بأن هذا من باب الأدب مع الله.

إجراءات البحث:

١ـ كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني؛ اعتماداً على مصحف المدينة للنشر الإلكتروني.

٢. تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية.

٣. توثيق المنقول وعزوه إلى صاحبه.

٤. التعريف بالأعلام غير المشاهير، والفرق والأماكن والبلدان.

٥. بيان معاني المفردات الغريبة، وضبطها بالشكل.

خطة البحث:

سيتضمن البحث: مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث، وخاتمة، وهي على النحو التالي:

* **المقدمة** وفيها: موضوع البحث، ومشكلته، وأهدافه، ومنهجه واجراءاته، وخطته، وهي على النحو التالي:
* **المبحث الأول:** ما كان الدّاعي لالتزام الأدب فيه دفع توهّم نسبة الأمر أو الشيء لغير الله.
* **المبحث الثاني:** ما كان الدّاعي لالتزام الأدب فيه تنزيه جناب الرب من نسبة الضرر أو المعصية أو الشرّ إليه سبحانه.
* **المبحث الثالث:** ما كان الدّاعي لالتزام الأدب فيه الحياء من الله، أو رجاءه سبحانه.
* **المبحث الرابع:** ما كان الدّاعي لالتزام الأدب فيه بيان عِظَمِ رحمة الله تعالى.
* **المبحث الخامس:** ما كان التزام الأدب فيه لإظهار التبرؤ من الحول والقوة، وإظهار كمال الاستعانة بالله والتوكل عليه.

التمهيد

وفيه بيان مفردات عنوان البحث

نظرًا لما في تحديد المصطلحات وبيان المفاهيم من أهمّيّة في فهم وتصوّر البحث، ولما تمثّله من مدخل يجلّى المراد بالمصطلحات المستخدمة في البحث، سأعرّج هنا على تعريف موجز بمفردات عنوان البحث في المطالب الآتية:

المطلب الأول: معنى الآيات: الآية في اللغة لها ثلاثة معانٍ:

أحدها: جماعة الحروف، قال أبو عمرو الشيباني: تقول العرب خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم.

ثانيها: العجب، تقول العرب: فلان آية في العلم وفي الجمال .

ثالثها: العلامة، تقول العرب: خربت دار فلان وما بقي فيها آية، أي: علامة(١).

الآية في الاصطلاح:

هي طائفةٌ من القرآن يتصل بعضها ببعض إلى انقطاعها، طويلةً كانت أو قصيرة(٢).

المطلب الثاني: معنى "المفسرين":

لغة: المفسرون جمع مفسّر، وهو اسم فاعل لمن يقوم بالتفسير، وهو البيان والإيضاح(٣)، والنّصّ المفسَّر هو ما ازداد وضوحًا على وجه لا يبقى فيه احتمال التخصيص –إن كان عامًّا–، والتأويل –إن كان خاصًّا–(٤).

---

(١) معاني القرآن للنحاس (١٢٨/٤) البرهان في علوم القرآن (٢٦٦/١).
(٢) التعريفات (ص٤١)، البرهان في علوم القرآن (٢٦٦/١).
(٣) المفردات في غريب القرآن (ص٦٣٦)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣٧٧٢/٣ / ف س ر).
(٤) المفردات في غريب القرآن (ص٦٣٦)، التعريفات (ص٢٢٤).

والمفسّر في الاصطلاح: هو من يقوم ببيان وإيضاح معاني آيات كتاب الله عزّ وجلّ، وبيان ناسخها ومنسوخها، وعامّها، ومخصّصها، ومطلقها، ومقيّدها.

المطلب الثالث: معنى الأدب:

الأدب في اللغة: قال ابن فارس: "(أدب) الهمزة والدال والباء: أصلٌ واحدٌ، تتفرع مسائله وترجع إليه: فالأدب أن تجمع الناس إلى طعامك. وهي المأدبة والمأدبة. والآدب الداعي[1]. ثم نصّ على أنّ الأدب أيضا من هذا الباب، ووجّه ذلك بكونه مجمعٌ على استحسانه[2]، وأشار صاحب المغرب إلى نحو هذا، وأن تركيب الأدب يدلّ على الجمع والدعاء[3].

الأدب في الاصطلاح:

عُرّف الأدب بتعريفات عدّة، أذكر أشهرها، ثمّ أبيّن ما يترجّح لدي مما يقتضيه المقام ويناسب الحال، فعُرف بأنه:

– اسم يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل"[4].

– مراعاةُ حقوقِ الشرع والحقيقةِ والسلوكِ إلى الله تعالى ظاهراً وباطناً، وكلَّ ما يدعو إلى الاتصاف بذلك من محاسن الأخلاق والأعمال والأحوال والأوصاف، وأَخْذِ النفس بذلك، مع ردّها عما يدعو إليه طبعها[5].

---

(١) مقاييس اللغة (٧٤/١)، وينظر: المطلع على ألفاظ المقنع (ص٤٨٣).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٧٥/١)، والمطلع على ألفاظ المقنع (ص٤٨٣).

(٣) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب (ص٢٢).

(٤) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب (ص٢٢)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٩/١)،تاج العروس من جواهر القاموس (١٢/٢).

(٥) ينظر: المغانم المطابة في معالم طابة، للفيروز آبادي (١٥٤/١).

– عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ[١].

– استعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً[٢].

– الأخذ بمكارم الأخلاق[٣].

– الوقوف مع المستحسنات[٤].

– تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك"[٥].

وعلم الأدب: هو علم إصلاح اللِّسان والخطاب، وإصابة مواقعه، وتحسين ألفاظه، وصيانته عن الخطأ والخلل[٦]، سمّي بذلك: لأنه يأدُب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح[٧].

والمراد بالأدب هنا: التزام أسلوب الخطاب الحسن مع الله عزّ وجلّ، والتخلّق بالأخلاق التي ينبغي التخلّق بها مع ذاته العليّة، والاحتراز عن كلّ ما يوهم الإخلال بذلك.

ويتبيّن من التعريفات السابقة أن الأدب شعبٌ متعددة، وأن أدب الكلام شعبة من شعبه التي يجب أن يتحلى بها المرء في حديثه، سواء مع الله جلّ في علاه أو

---

(١) التعريفات (ص١٥).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤٠٠/١٠)، تاج العروس من جواهر القاموس (١٢/٢).

(٣) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٩/١)، فتح الباري لابن حجر (٤٠٠/١٠).

(٤) ينظر: مدارج السالكين لابن القيّم (١٤١/٣)، فتح الباري لابن حجر (٤٠٠/١٠)، تاج العروس من جواهر القاموس (١٢/٢).

(٥) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤٠٠/١٠)، تاج العروس من جواهر القاموس (١٢/٢).

(٦) مدارج السالكين (١٤٠/٣).

(٧) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب (ص٢٢)، لسان العرب (٢٠٦/١)، تاج العروس من جواهر القاموس (١٢/٢).

مع خلقه، وقد قسّم ابن قيّم الجوزية الأدب بعمومه إلى ثلاثة أنواع، أدب مع الله تعالى، وأدب مع رسوله عليه الصلاة والسلام، وأدب مع الخلق، وجعل لكل نوع الأدب الذي يناسب مقامه.

المطلب الرابع: معنى الأدب مع الله تعالى.

ذكر ذلك ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين أنواع الأدب فقال: " الأدب مع الله ثلاثة أنواع:

أحدها: صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة.

الثاني: صيانة قلبك أن يلتفت إلى غيره.

الثالث: صيانة إرادتك أن تتعلق بما يمقتك عليه[1].

قال أبو علي الدقاق – رحمه الله –: "العبد يصل بطاعة الله إلى الجنة، ويصل بأدبه في طاعته إلى الله، فالأدب مع الله حسن الصحبة معه، بإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة على مقتضى التعظيم والإجلال والحياء، كحال مجالسي الملوك ومصاحبيهم" [2].

**

(١) مدارج السالكين (١٤٠/٣).

(٢) الرسالة القشيرية (٤٤٥/٢) مدارج السالكين (١٤٣/٣).

المبحث الأول

ما كان الدّاعي لالتزام الأدب فيه

دفع توهّم نسبة الأمر أو الشيء لغير الله

البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والألفاظ قوالب المعاني، وقد يتبادر إلى الذّهن من الخطاب أحيانًا معنى غير مقصودٍ لصاحبه، ينافي الأدب، أو كمال الأدب، وقد لا ينافيه لكنه يتطرّق إليه احتمال ولو بعيد يوهم غير مراد صاحبه، كأن يُفهم من العطف: اشتراك المعطوف والمعطوف عليه، أو يُفهم من الإسناد: المساواة بين جملة المسند إليهم، وغير ذلك، ولهذا ينحى الفصحاء والبلاغيّون إلى أسلوب ينفي كلّ الاحتمالات التي قد تنفذ إلى الذهن، وهذا بابٌ كبيرٌ في القرآن الكريم، يظهر جليًّا في خطابات أنبياء الله مع أقوامهم، أو غير ذلك، والأنبياء قدوة أقوامهم، وهم من يرسم لهم منهج حياتهم، ومن حِكم قصّ الله لقصصهم: الاستفادة من أساليب خطابهم مع ربهم أو مع أقوامهم، وفيما يلي ذكر نماذج من ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: ما جاء على لسان هود عليه السلام: وذلك في معرض ردّه على اتهام قومه له بالجنون والمسّ، وذلك في قول المولى جلّ في علاه: {إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعتَرَىٰكَ بَعضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓء قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤} [هود: ٥٤].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: يخبر الله تعالى عن قول قوم هود: أنهم قالوا له لما نصحهم، ودعاهم إلى توحيد الله، والتبرؤ من الأصنام: لا نترك عبادة آلهتنا، ونقول: إن الذي حملك على نبذ آلهتنا وذمّها: ما أصابتك به هذه الآلهة من جنون

وخبل، فردّ عليه هود عليه السلام: إني أُشهد الله على نفسي، وأشهدكم أيضًا أيها القوم، أني بريء مما تشركون في عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم[1].

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أن هودًا عليه السلام قال لقومه حين اتّهموه بالخبل والمسّ: {إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ} وكان مقتضى السياق أن يقول لهم: أُشهد الله وأُشهدكم، غير أنّه عدَلَ عن ذلك، وعطف على الجملة الخبريّة جملة طلبيّة؛ لدفع توهّم مساواتهم مع الله –ولو في اللفظ–.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك البقاعي في نظم الدرر، حيث قال: "قوله: {إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ} "أي الملك الأعظم؛ ليقوم عذري عنده، وعدَل أدباً مع الله عن أن يقول: وأُشهدكم؛ لئلا يتوهّم تسوية إلى صيغة الأمر تهاوناً بهم فقال: {وَٱشۡهَدُوٓاْ} أي أنتم لتقويم الحجة عليكم"[2].

المطلب الثاني: ما جاء على لسان أنبياء الله تعالى: يقول المولى سبحانه: {يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩} [المَائِدَة: ١٠٩].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: تخبر الآية عما سيكون في المستقبل، وهو يوم القيامة، سيسأل الله الرسل والأنبياء عما أجابهم به أقوامهم، فيردّ الرسل بقولهم: {لا علم لنا إنَّك أنتَ علام الغيوب}، تبرّءوا من علمهم، ونسبوا العلم إلى من لا يخفى عليه شيء[3].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٦٠/١٥).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣١٠/٩).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١١/١١)، وينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١٤٧/١).

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّهم لما سُئلوا عما أجابهم به أقوامهم، أجابوا: بأنه لا علم لهم؛ مع أنّ الأصل أن الإنسان يعرف ما أجابه به الآخر، ولكنّهم نفوا أن يكون لهم علمٌ بذلك، ثم فوّضوا علم ذلك إلى الله عزّ وجلّ.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله:

نصّ على ذلك غير واحد من أهل التفسير، من ذلك:

ما قاله الراغب الأصفهاني: "وفيه تنبيه على استعمال حسن الأدب عند سؤال المعلم بتفويض العلم إليه، وتنبيه على أعظم التواضع"(١).

وما قاله الفخر الرازي: "أنهم لما علموا أنه سبحانه وتعالى عالمٌ لا يجهل، حكيم لا يسفه، عادل لا يظلم، علموا أن قولهم لا يفيد خيرًا، ولا يدفع شرا فرأوا أن الأدب في السكوت، وفي تفويض الأمر إلى عدل الحي القيوم الذي لا يموت"(٢).

وذكره غيرهما كالنسفي في تفسيره مدارك التنزيل، والخازن، وابن جُزَي، والشيخ ابن عثيمين(٣).

المطلب الثالث: ما جاء على لسان يوسف عليه السلام: وذلك في قوله تعالى حكاية عن يوسف: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [يُوسُف: ٤٢].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: للمفسرين في قوله سبحانه: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ} تأويلان:

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (١٤٧/١).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤٥٧/١٢).

(٣) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٤٨٤/١)، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٩٠/٢)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَي (٢٤٩/١)، تفسير العثيمين (٤٩٥/٢).

أحدهما: أن الظن هنا هو بمعنى الشك، والآخَر: أنه بمعنى اليقين.

فإلى الأول ذهب قتادة، فقد رُوي عنه أنه قال: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ} [يُوسُف: ٤٢] وإنما عبارة الرؤيا بالظن، فيحقُّ الله ما يشاءُ ويُبْطِل ما يشاء.

وأما الآخر فذهب إليه الطبري، حيث قال: إنّ عبارة الرؤيا ظن، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء. فأمّا الأنبياء فغير جائز منها أن تُخبر بخبر عن أمرٍ أنه كائنٌ ثم لا يكون، أو أنه غير كائن ثم يكون، مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن؛ لأن ذلك لو جاز عليها في أخبارها، لم يُؤمَن مثل ذلك في كل أخبارها(١).

ويمكن الجمع بين التأويلين بأن يُحمل المعنى على أنّ المراد بالظّنّ هو الشك الذي هو في الطبيعة البشرية، ويوسف عليه السلام منهم، فهو لا يعلم الغيب، فكلمة الظنّ هنا لا تعني عدم الصدق في التأويل، وإنما هي من الأدب مع الله تعالى بعدم التعدّي على ما يختص به سبحانه من علم الغيب.

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: يتّجه التزام الأدب في الآية على تفسير الظن هنا بمعنى الشكّ، فإن تعبيره بالظنّ من باب الأدب مع الله تعالى بعدم التعدّي على ما يختصّ به سبحانه من علم الغيب، ومعرفة ما تؤول إليه الأمور، وإلا فإن يوسف عليه السلام كان على يقين من تحقّق تفسيره للرؤيا بما علّمه الله من تفسير الرؤى وتأويل الأحاديث.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك الألوسي في روح المعاني، حيث قال: "ولعلّ التعبير به من باب إرخاء العنان

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٦/١١٠/١١١)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٢٤٦)، تفسير العز بن عبد السلام (٢/١٢٢).

والتأدّب مع الله تعالى، فالتعبير على هذا بالوحي كما ينبىء عنه قوله: قُضِيَ الْأَمْرُ إلخ"[١].

كما نصّ على ذلك الشيخ أبو زهرة في زهرة التفاسير؛ حيث قال: "وهنا ملاحظة تتعلّق بالمنهج البياني القرآني: فقول يوسف عليه السلام (لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا)، فعبر بالظّنّ ولم يعبر بالعلم؛ تأدبا مع اللَّه في العلم بالغيب، فإنه وإن كان يقينًا عند يوسف، ولكن طريقه لَا ينتج إلا ظناً"[٢].

المطلب الرابع: ما جاء على لسان موسى عليه السلام: {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} [الإسْرَاء: ١٠٢].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية: **أولاً: معنى الآية:** {قَالَ} أي موسى {لَقَدْ عَلِمْتَ يا فرعون مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ} الآيات { إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} خالقهما {بَصَآئِرَ} حال أي بينات مكشوفات؛ لأنك معاند ... ثم قارع ظنه بظنه بقوله {وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا}. كأنه قال إن ظننتني مسحوراً فأنَا أظنك مثبورًا، وظنّي أصحّ من ظنّك؛ لأن له أمارة ظاهرة، وهي إنكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها"[٣].

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ موسى يعلم بما أوحاه الله إليه، وبما ظهر له من إصرار فرعون على الكفر، وباستقراء سُنن الله في المعاندين للرسل أنه سيهلك، ولكنّه خاطبه بصيغة الظنّ؛ تأدّبًا مع الله عزّ وجل، فقال: {وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا}.

---

(١) روح المعاني (٤٣٧/٦).

(٢) زهرة التفاسير (٣٨٢٦/٧).

(٣) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢٨٠/٢).

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك العلامة ابن عاشور في التحرير والتنوير، وتبعه الشيخ محمد أبو زهرة، قال ابن عاشور: "والمثبور: الذي أصابه الثبور، وهو الهلاك. وهذا نذارة وتهديد لفرعون بقرب هلاكه، وإنما جعله موسى ظنا تأدّبًا مع الله تعالى، أو لأنه علم ذلك باستقراء تام أفاده هلاك المعاندين للرسل، ولكنه لم يدر لعلّ فرعون يُقلع عن ذلك وكان عنده احتمالاً ضعيفًا، فلذلك جعل توقع هلاك فرعون ظنًّا، ويجوز أن يكون الظنّ هنا مستعملاً بمعنى اليقين"(١).

المطلب الخامس: ما جاء على لسان موسى أيضًا: في قول ربّ العزة والجلال: {وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤} [طه: ٨٣-٨٤].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: أنّ موسى عليه السلام لما ذهب لملاقاة ربه في الطور حمله الشوق أن يتقدّم على قومه: "فسارع موسى عليه السلام مبادرًا إلى الطور، واستخلف على بني إسرائيل أخاه هارون؛ ولهذا قال تعالى: {وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي} أي: قادمون ينزلون قريبًا من الطور، {وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤} أي: لتزداد عني رضًا"(٢).

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ الله جلّ شأنه لما سأل موسى عليه السلام عن سبب عجلته عن قومه، كان مقتضى السؤال أن يجيب عن السبب، وهو أنّه تعجّل إلى الله طلبًا لرضاه، فكان قوله: {وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ}

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢٧/١٥)، وينظر: زهرة التفاسير (٣٨٢٦/٧).
(٢) تفسير ابن كثير (٣٠٩/٥).

كافيًا؛ ولكنه قدّم قبل الجواب بمقدّمة، هي كالعذر عن سبب فعله، فقال: {هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي}.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك المجير العليمي في تفسيره، فقال: "اقتضى السؤال عن السبب السؤال عن العذر، فقدّم العذر اعترافًا منه بالنقص؛ تأدّبًا مع الله تعالى وأشار إليهم، {قَالَ هُمْ أولاءِ} ولم يأت بـ (كاف) الخطاب تأدّبًا مع الله[١]، ولأنّه سبحانه العليم، فلا يحتاج إلى تنبيه بها؛ إذ هو يخاطب العليم الخبير، ومعنى (هم أولاءِ عَلَى أَثَرِي) أنهم على مقربة مني، ولا يضلّون الطريق؛ لأنهم ورائي[٢].

وأشار إلى نفس المعنى الشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ الشعراوي رحمهما الله[٣].

المطلب السادس: ما جاء على لسان عيسى عليه السلام: في قول المولى عزّ وجلّ على لسان عيسى عليه السلام: {وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} [مَريَم: ٣٢-٣٣].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: أنّ عيسى يخبر بني إسرائيل عن نفسه فيقول لهم: إن الله جعلني: "لطيفاً بوالدتي {وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} فِي ديني قتالاً فِي الْغَضَب {شَقِيّا} عَاصِيا لربى، {وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ} [مَريَم: ٣٣] السَّلامَة عَليّ حِين

(١) أي لم يقل: هم أولئك.

(٢) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٣١٥/٤).

(٣) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن (٣١٥/٤) زهرة التفاسير (٤٧٦٦/٩) تفسير الشعراوي (١٠٩٨٥/١٨).

ولدت من لُمزَة الشَّيْطَان {وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} حِين أَمُوت من ضغطة الْقَبْر {وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} حِين أبْعث من الْقَبْر حَيًّا[1].

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ التعبير القرآني في القصة التي سبقت قصة عيسى كان بلفظ: {وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا}، وهذه تزكية من الله ليحيى عليه السلام، أنه لم يكن من أصحاب المعاصي، وأما هنا فعبّر بقوله: {وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} لأنّ السياق سياق إخبار عيسى عن نفسه، فناسب أن لا يزكّي نفسه، ولم يقل: ولم أكن جبارًا، وإنما اكتفى بأن الله لم يجعله جبارًا شقيًّا، كما نسب الأمر إلى الله، وأن الله بكرمه وفضله هو الذي لم يجعله جبارًا.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك البدر ابن جماعة في كشف المعاني في المتشابه من المثاني، فقال: "أن الأول: إخبار من الله تعالى ببركته وسلامه عليه. والثاني: إخبار عيسى عليه السلام عن نفسه، فناسب عدم التزكية لنفسه بنفي المعصية؛ أدبًا مع الله تعالى"[2].

وكذلك قوله: {وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} [مريم: ١٥]، كان السلام في القصة السابقة بالتنكير، وأما هنا فعبّر بالتعريف؛ قيل من الأسرار في ذلك:

أنّ السلام المنكّر هو من الله على يحيى عليه السلام، وجاء بالتنكير؛ لأن النكرة أعمّ وأشمل، وأما الثاني –أعني السلام المعرّف–: فهو من عيسى لنفسه، وجاء معرّفًا؛ لأنّه سلام خاصٌّ ليس له صفة العموم ولا الشمول؛ تأدّبًا مع الله عزّ وجلّ.

---

(١) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص٢٥٤-٢٥٥).

(٢) كشف المعاني في المتشابه من المثاني (ص٢٤٦- ٢٤٧).

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك فاضل السامرائي، حيث قال: "(السلام) معرفة و (سلام) نكرة؛ والنكرة عادة تدل على الشمول والعموم والمعرفة تدل على الاختصاص. فكلمة (سلام) أعمّ من (السلام) ولذلك تحية أهل الجنة هي (سلام) وهي كلها جاءت بالتنكير وتدل على السلام العام الشامل (سلام عليكم) (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وتحية أهل الجنة سلام وتحية الله تعالى لعباده سلام (سلام على موسى وهارون) ولم يحيي الله تعالى عباده المرسلين بالتعريف أبداً وجاء كله بالتنكير سواء في الجنة أو لعباده وتحية سيدنا يحيى – عليه السلام – هي من الله تعالى لذا جاءت بالتنكير (سلام عليه) أما تحية عيسى – عليه السلام – فهي من نفسه فجاءت بالمعرفة (والسلام عليّ) . وهناك أمر آخر هو أن تحية الله تعالى أعمّ وأشمل وعيسى – عليه السلام – لم يحيي نفسه بالتنكير تأدّباً أمام الله تعالى فحيّىَ نفسه بالسلام المعرّف"(١).

المطلب السابع: ما جاء على لسان ذي القرنين: {وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ٨٨} [الكَهف: ٨٧–٨٨].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: يقول الله على لسان ذي القرنين أن من آمن وتابعنا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له {فله جزاء الحسنى} أي: في الدار الآخرة عند الله عزّ وجلّ، {وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} قولاً معروفًا جميلاً(٢).

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّه عبّر بأنّه سيجازي من أحسن واتّبع الهدى في الآخرة: بالقول الحسن، ولم يذكر الفعل؛ مع أنّه يعلم أن الله سيحسن

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (ص٦٤٥).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (١٦٥/٣)، تفسير ابن كثير (١٩٣/٥).

إليه قولاً وفعلاً؛ لكنه اقتصر على ذكر القول؛ أدبًا مع الله وما أعدّه الله للمحسنين.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك أبو حيان الأندلسي صاحب البحر المحيط، والطاهر ابن عاشور.

قال أبو حيّان الأندلسي: "ولما ذكر ما أعدّ الله له من الحسنى جزاءً لم يناسب أن يذكر جزاءه بالفعل؛ بل اقتصر على القول أدبًا مع الله تعالى، وإن كان يعلم أنه يحسن إليه فعلاً وقولاً" (١).

وقال الطاهر ابن عاشور: "فإن كان المراد من الحسنى الخصال الحسنى، فمعنى عطف وسنقول له من أمرنا يسرا أنه يجازي بالإحسان وبالثناء، وكلاهما من ذي القرنين، وإن كان المراد من الحسنى ثواب الآخرة فذلك من أمر الله تعالى وإنما ذو القرنين مخبر به خبرا مستعملا في فائدة الخبر، على معنى. إنا نبشره بذلك، أو مستعملا في لازم الفائدة تأدّبًا مع الله تعالى، أي أني أعلم جزاءه عندك الحسنى"(٢).

المطلب الثامن: ما جاء على لسان الملائكة: يقول المولى سبحانه و تعالى: {ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} [النَّحل: ٢٨].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: "{ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ} يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه، {ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ} بالكُفر -نُصِب على الحال-، أي في حال كفرهم.

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٢٢٢/٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/١٦-٢٨).

{فَأَلقَوُاْ ٱلسَّلَمَ} أي: استسلموا وانقادوا، وقالوا: {مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءٖ} شرك، فقالت لهم الملائكة: {بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ}"(١).

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ الملائكة أسندوا العلم إلى الله عزّ وجلّ وحده، مع أنهم يعلمون أيضًا ما يعمله أولئك الظالمون، لكنهم تأدّبًا مع الله اكتفوا بنسبة علم ذلك إلى الله وحده.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك الطاهر ابن عاشور، حيث قال: "وأسندوا العلم إلى الله دون أن يقولوا: إنا نعلم ما كنتم تعملون، أدباً مع الله وإشعاراً بأنهم ما علموا ذلك إلا بتعليم من الله تعالى"(٢).

**

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٤/٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٤٠/١٤).

المبحث الثاني

ما كان الدّاعي لالتزام الأدب فيه تنزيه جناب الرب من نسبة الضرر أو المعصية أو الشرّ إليه سبحانه

لا يكون شيء إلا بعلم الله تعالى، فلا ينزل بالعبد شيء إلا بأمر الله، ولا يرفع إلا بإذنه سبحانه، فكل شيء كائنٌ بأمره جل جلاله خيراً كان أو شرّاً؛ لحكمة يعلمها سبحانه، إلاّ أنّ الأدب معه سبحانه اقتضى نسبة ما لا يليق به أو ما ظاهره الشرّ إلى غيره؛ تقديراً وتأدّباً مع الذات الإلهية، ويظهر هذا في المطالب الآتية:

المطلب الأول: ما جاء على لسان آدم عليه السلام: وذلك في قول رب العزّة جل جلاله حكاية عن آدم وحواء: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ} [الأعراف: ٢٣] . وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: أن آدم وحواء لما أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها، "قالا: ربنا ظلمنا أنفسنا اعترافًا بالعصيان، وبأنّهما علما أنّ ضرّ المعصية عاد عليهما، فكانا ظالمين لأنفسهما إذ جرّا على أنفسهما الدخول في طور ظهور السوآت، ومشقة اتخاذ ما يستر عوراتهما، وبأنهما جرّا على أنفسهما غضب الله تعالى، فهما في توقع حقوق العذاب، وقد جزما بأنهما يكونان من الخاسرين إن لم يغفر الله لهما، إما بطريق الإلهام أو نوع من الوحي، وإما بالاستدلال على العواقب بالمبادىء، فإنهما رأيا من العصيان بوادئ الضر والشر، فعلما أنه من غضب الله ومن مخالفة وصايته"[1].

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٨ /٦٧).

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ آدم وحواء عليهما السلام لما أكلا من الشجرة لم يعترضوا على ذلك بأنّ الله قدّر ذلك عليهما وكتبه عليهما قبل أن يخلقهما، مع أنّ الأعمال لا تكون إلا بأمره وعلمه وتقديره سبحانه، إلا أن آدم عليه السلام نسب المعصية له ولزوجته تأدّبًا مع المولى عزّ وجلّ، ولم يُبد أي عذر.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك أبو الحسن الحرالي، والنووي، وابن القيّم، والبقاعي، وغيرهم. قال الْحَرَالِي: و"كان إقرارُه بلفظه أدبًا وإذعانًا لقيام حجّة الله على عباده، بما أنبأ عنه من قوله: {رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا} الآية، وهذه توبة قلبٍ وعمل، لا ينقض مخصوص حال القلب منها ناقضٌ، وهي التوبة النصوح، التي تُبرئ من الذنب بتحقيق توحيد القلب، وتوجب تكفير الخطايا الظاهرة، التي لا أصل لها في القلب؛ من حجاب دعوى في الأفعال، وشرك في أمر الله، فبمقتضى ما في باطنه ظهر فيه اسمه الرحيم، الذي هو من الرحمة، وهو اختصاص فضله بالمؤمن، وبمقتضى ما ظهر عليه من الضراعة والإقرار ظهر فيه مقتضى اسمه التواب، فجمعت توبته الأمرين"(١). وقال النووي: "في قوله: ظلمت نفسي، أي: اعترفت بالتقصير، قدّمه على سؤال المغفرة أدبًا، كما قال آدم وحواء: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين"(٢). وقال ابن القيّم: في معرض تقريره أن الرسل من أكثر الناس قيامًا بواجب الأدب مع الله جلّ جلاله، فقال: "وتأمّلْ أحوالَ الرُّسل مع الله، وخطابَهم وسؤالَهم، كيف تجدها كلّها مشحونةً بالأدب قائمةً به"... وذكر أمثلة على ذلك،

(١) تراث أبي الحسن الحرالي (ص٢٠٠)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٩٥/١).
(٢) شرح النووي على مسلم (٥٨/٦).

إلى أن قال: "قال آدم: {رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا}، ولم يقل: ربّ قدّرت عليّ وقضيت عليّ"(١).

وقال البقاعي: "وكان إقراره بلفظه أدباً وإذعاناً لقيام حجة الله على عباده"(٢).

وهذا الأدب من أبي البشرية عليه السلام مع المولى عزّ وجلّ فيه درسٌ في حسن اختيار العبارات عند مخاطبة الله تعالى في الدّعاء، وهذا سرٌّ من أسرار الحوارات الربانيّة مع أنبيائه عليهم السلام.

المطلب الثاني: ما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام: يقول المولى عز وجل: {ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠} [الشُّعَرَاء: ٧٨-٨٠].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: بعد أن أعلن إبراهيم عليه السلام تبرؤه من الأوثان الآلهة التي يعبدها قومه، وأعلن معاداته لهم، وأنّه يعبد الله رب العالمين، شرع يعدّد نعم الله عليه، فقال: {ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ} أي: أنّ الذي يهدي إلى الرشد هو الله الذي خلق، {وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ} أي: أن الله هو الرازق، {وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ}، أي: أنّ الذي أمرض فهو الذي يشفي، وهو الله عز وجل(٣).

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: يتجلّى الأدب في قول إبراهيم عليه السلام: {وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠} ولم يقل: وإذا أمرضني؛ مع أنّه قال في الآية التي قبل هذه: {وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ}، وقال في التي بعدها: {وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ} [الشُّعَرَاء: ٨١] ؛ تأدّبًا مع الله لم ينسب إليه الإمراض.

---

(١) مدارج السالكين (١٤٨/٣).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٩٥/١).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣٥٥/٣).

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك الثعلبي، والبغوي، وابن عطيّة، وابن الجوزي، والطوفي، وابن كثير، وغيرهم. نذكر منها ما يلي:

قال الثعلبي: "أضاف إبراهيم (عليه السلام) المرض إلى نفسه –وإن كان من الله سبحانه–؛ لأنّ قومه كانوا يعدّونه عيبًا، فاستعمل حسن الأدب"(١). وقال البغوي: " {وَإِذَا مَرِضْتُ} أضاف المرض إلى نفسه –وإن كان المرض والشفاء كله من الله–؛ استعمالا لحسن الأدب، كما قال الخضر: {فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا} [الكَهف: ٧٩] ، وَقَالَ: {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا} [الكَهف: ٨٢] (٢).

وقال ابن عطيّة: "كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} ، فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تعالى، وأسند المرض إلى لنفسه، إذ هو معنى نقص ومصيبة، وهذا المنزع يطرد في فصاحة القرآن كثيرًا"(٣).

وقال ابن الجوزي: "فإن قيل: لم قال: «مرضتُ» ، ولم يقل: «أمرضَني»؟ فالجواب: أنه أراد الثناء على ربّه فأضاف إليه الخير المحض، لأنه لو قال: «أمرضَني» لعدَّ قومُه ذلك عيباً، فاستعمل حُسن الأدب ونظيره قصة الخضر حين قال في العيب: «فأردت» «١» ، وفي الخير المحض: «فأراد ربّك»"(٤).

المطلب الثالث: ما جاء على لسان أيوب عليه السلام: يقول المولى سبحانه: {وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [ص: ٤١].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٦٩/٧).

(٢) تفسير البغوي (١١٨/٦).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٣٧/٣).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٣٤١/٣).

أولاً: معنى الآية: يذكر الله تعالى عبده ورسوله أيوب عليه السلام، وأنه ابتلاه بالضر في جسده وماله، حتى لم يبق منه جزء سليم، ولكنه كان صابرًا، فلما طال عليه الحال، واشتدّ الأمر، تضرّع إلى الله فقال: رب إني مسّني الشيطان بنصب في بدني، وعذاب في مالي وولدي(١).

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ أيوب عليه السلام أضاف ما أصابه من نصب وعذاب إلى الشيطان، مع أنّ ليست له قدرة على فعل شيء إلا بتسليط الله له، أو بإذنه له؛ وأيوب يعلم ذلك؛ لكنّه استخدم هذا التعبير تأدّبًا مع الله جل جلاله، قال القرطبي: "والأفعال كلّها خيرها وشرّها، إيمانها وكُفرها، طاعتها وعصيانها، خالقها هو الله لا شريك له في خلقه، ولا في خلق شيء غيرها، ولكن الشرّ لا ينسب إليه ذكرًا، وإن كان موجودًا منه خَلقًا، أدبًا أدّبنا به، وتحميدًا علمناه. وكان من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم لربه به قولٌ من جملته:"والخير في يديك والشر ليس إليك"(٢)(٣).

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك القرطبي كما تقدّم، ونصّ عليه الزمخشري، والعليمي، والشهاب الخفاجي، وغيرهم. قال الزمخشري: " وأسند المسّ إلى الشيطان لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سببًا فيما مسه الله به من النصب والعذاب، نسبه إليه؛ وقد راعى

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/٧٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصره، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، (٢/١٤٢) الحديث: (٢٠١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢١٠).

الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو"[١].

وقال العليمي: {وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي} أي: بأني {وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ} مشقة {وَعَذَابٍ} ألم المرض... {مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ} تأدبًا مع الله تعالى، وإن كانت الأشياء كلها منه تعالى، ونسب ذلك إلى الشيطان؛ لأنه كان بسببه ووسوسته"[٢].

قال الشهاب الخفاجي: "فلمّا مسّه من الله ذلك بذنبه أسنده للشيطان؛ لأنّ الذنوب أكثرها من إلقائه، والمقصود منه: الاعتراف بأنه ذنب، أو تأدّب إذ لم يسنده إلى الله"[٣].

المطلب الرابع: ما جاء على لسان الخضر عليه السلام:

في حكاية الخضر مع موسى عليهم السلام تظهر عبارات الأدب مع المولى عزّ وجلّ في عدة مواقف، تختلف صيغ التعبير في إسناد الأفعال لغرض مراعاة حسن الأدب مع المولى عزّ وجلّ، في اختيار صيغة الفعل ونسبته، ففي قوله تعالى: {وأَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢} [الكَهف: ٧٨ – ٨٢].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٩٧/٤) البحر المحيط في التفسير (١٦١/٩) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣٢/٥).

(٢) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٣٢/٦).

(٣) حاشية الشهاب الخفاجي علي تفسير البيضاوي (٣١٣/٧).

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآيات: الآيات تحكي قصة الخضر مع موسى عليه السلام، وفيها يذكر الخضر سبب قيامه بتلك الأعمال من خرقٍ للسفينة، وقتل للغلام، وبناءٍ للجدران، وأنه لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه، وإنما وحي من الله، أو علم علّمه الله إياه.

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ موسى التزم غاية الأدب مع الحضرة القدسيّة، ومن أبرز ما يتجلّى فيه ذلك، تعبيره في سرّ قتل الغلام بقوله: {فَأَرَدْنَآ} ؛ لأن ظاهره فعل سيّء، وفي بناء حائط اليتيمين بقوله: {فَأَرَادَ رَبُّكَ} ؛ لأنّ ظاهره فعلٌ حسن.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك الثعلبي، والبغوي، وابن عطية، والخازن وغيرهم، أذكر منهم هنا ما يلي:

قال الثعلبي: "أضاف إبراهيم –عليه السلام– المرض إلى نفسه وإن كان من الله تعالى لأنَّ قومه كانوا يعدونه عيباً فاستعمل حسن الأدب، نظيرها في قصة الخضر –عليه السلام– حيث قال: {فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا}. وقال: {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا}[1].

وقال ابن عطيّة: "وجاء في أنباء الخضر عليه السلام في أول قصة {فَأَرَدتُّ أَن أَعِيبَهَا}، وفي الثانية: {فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا} وفي الثالثة: {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ} وإنما انفرد المطلب الأول في الإرادة؛ لأنها لفظة عيب، فتأدّب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه، وإنما قال الخضر في الثانية {فَأَرَدْنَآ} لأنه أمل قد كان رواه هو وأصحابه الصالحون، وتكلم فيه في معنى الخشية على الوالدين، وتمنى البديل لهما، وإنما أسند الإرادة في الثالثة إلى الله تعالى. لأنها في أمر مستأنف في

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير (٦٩/٢٠):

الزمن طويل غيب من الغيوب، فحسن إفادة هذا الموضع بذكر الله تعالى، وإن كان الخضر قد أراد أيضا ذلك الذي أعلمه الله أنه يريده، فهذا توجيه فصاحة هذه العبارة بحسب فهمنا المقصر، والله أعلم"(١).

قال الخازن: "فإن قلت: كيف قال في الأولى: {فَأَرَدتُّ} ، وفي الثانية: {فَأَرَدْنَآ} ، وفي الثالثة: {فَأَرَادَ رَبُّكَ} ؟ وما وجه كل واحدة في هذه الألفاظ؟

قلت: إنه لما ذكر العيب أضافه إلى نفسه على سبيل الأدب مع الله تعالى، فقال: {فَأَرَدتُّ أَن أَعِيبَهَا}، ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على أنه من العلماء العظماء في علم الباطن وعلوم الحكمة"(٢).

المطلب الخامس: ما جاء على لسان الجن: يقول المولى عزّ وجلّ على لسان الجن: {وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجِن: ١٠].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: يخبر الله جل شأنه عن قصّة الجنّ، وما قالوه لأقوامهم حين رجعوا إليهم بعد سماع القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، فكان من جملة ما قالوا لما وجدوا السماء مليئة بالنجوم التي ترجمهم: {وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}، أي ونحن نعلم أنّ الله قد أراد أمرًا ما بمن في الأرض، ولكن لا ندري ما هو؟ فقالوا: لا ندري هل أُريد شرًّا بسكان الأرض، أم أراد الله بهم خيرا.

هذا الأسلوب فيه تأدُّبٌ عجيب في نسبة الخير إلى اللَّه تعالى دون الشرّ، وإنْ كان الجميع من فعلِه فإن الجن حذفوا الفاعل على جهة الأدب مع الله في نسبة

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٣٧/٣).

(٢) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (١٧٤/٣).

الشرّ إليه؛ مع أن الكل مِن فِعله وخلقه جلّ وعلا، وعمموا الإرادة، ولم يقولوا: أُريد بنا، وحذف الفاعل من الأول دون الثاني تأدّبًا مع الله تعالى في نسبة الخير إليه دون الشرّ، وإن كان الكلّ من فعله[1].

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ الجنّ حذفوا فاعل الشرّ، فعبّروا بصيغة الفعل الذي لم يُسم فاعله، أما في الجملة التي بعده: فأضافوا الخير والرشد إلى الله، وكان مقتضى الصناعة اللغوية، إما أن يحذفوا الفاعل في الحالتين، أو يُثبتوهما في الحالتين. والله أعلم.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك كثير من المفسرين، منهم ابن كثير، وابن عرفة، والإيجي، والألوسي:، نذكر منهم ما يلي:

قال ابن كثير بعد أن ذكر الآية، ومعناها موجزًا: "وهذا من أدبهم في العبارة؛ حيث أسندوا الشرّ إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله عز وجل"[2].

وقال ابن عرفة: "أنهم حذفوا الفاعل على جهة الأدب مع الله في نسبة الشر إليه؛ مع أن الكل من فعله وخلقه جلّ وعلا، وعمّموا الإرادة، ولم يقولوا: أُرِيد بنا"[3].

وقال الإيجي: "(وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ): بحراسة السماء، (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا): خيرًا، وهذا من أدبهم، حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل"[4].

---

(١) ينظر: التفسير البسيط (١١٣/٢)، تفسير ابن عرفة (٣٠٥/٤)، البرهان في علوم القرآن (٦١/٤) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٦٠٩/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٤٠/٨).

(٣) تفسير ابن عرفة (٣٠٥/٤).

(٤) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٣٨٦/٤).

وقال الألوسي: "ولا يخفى ما في قولهم أَشَرٌّ أُرِيدَ إلخ من الأدب حيث لم يصرحوا بنسبة الشر إلى الله عز وجل كما صرحوا به في الخير وإن كان فاعل الكل هو الله تعالى ولقد جمعوا بين الأدب وحسن الاعتقاد"(١).

المطلب السادس: ما جاء في صيغة خطاب وتنبيه من الله لعباده المؤمنين.

وهو قول المولى عز وجل: {مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا} [النِّسَاء: ٧٩].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: الآية خطاب المولى للنبيه محمد عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم هو القدوة التي من تمثّل بها وصل غاية الكمال الأخلاقيّ، فمنه عليه السلام نستقي حسن القول والعمل، وفي القرآن الكريم توجيهات ربّانية تخاطب النبي الكريم محمد عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، وفيها تقييم للأخلاق البشرية في التعامل مع المولى عزّ وجلّ من ذلك، فيقول الله لنبيّه ولأمته تبعًا له: أن ما يصيبك من خير وصحة ورزق وحسنات فهو منّة من الله، وما يصيبك من شر وضر ومرض فهو من نفسك الأمارة بالسوء، وبسبب ذنوبك.

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ الله نسب الحسنات إليه جلّ في علاه، ونسب السيئات إلى العبد، مع أنّه لا يكون في هذا الكون شيء لا يريده الله، ولا يقدّره.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك جمع كثير من المفسرين، منهم الرغب الأصفهاني، والرازي، والخازن، وابن جُزي، وابن عادل الحنبلي صاحب اللباب، والبقاعي، وغيرهم، أذكر منهم ما يلي:

---

(١) روح المعاني (٩٨/١٥).

قال الراغب: "إنما نسب الله تعالى الحسنة إلى نفسه في الثواب؛ تنبيهًا أنه سبب الخيرات، ولولاه لما حصل بوجه، فإنه يكسبه للعبد بإرادة من الله وأمر وحثّ وتوفيقٍ، وأما السيئة وإن كانت بإرادة من الله عند قوم فليست بأمر منه ولا حثٍّ ولا توفيق، ومع ذلك أدّب بذكر ذلك عباده، ليراعوا فيما ينالهم نعمته عليهم. وينسبوا الحسنات إليه، ويعلموا أنه سبب كل خيرات، وأنه لولاه لما حصل منها شيء"(١).

وقال الرازي بعد أن بيّن أنّ الله يفصل بين الضر والخير، وبين الحسنات والسيئات، مع أنه مقدّر وخالق هذا كله، وذكر نظائر ذلك من القرآن، ثم قال: "بل إنما فصل بينهما رعاية الأدب"(٢).

وقال الخازن: "قوله: قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فعلى الحقيقة؛ لأن الله تعالى وهو خالقها وموجدها، وأما إضافة السيئة إلى فعل العبد فعلى المجاز تقديره: وما أصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك، وقيل: السيئة إلى فعل العبد على سبيل الأدب، فهو كقوله تعالى: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشُّعَرَاء: ٨٠] فأضاف المرض إلى نفسه على طريق الأدب ولا يشك عاقل أن الممرِض هو الله تعالى"(٣).

وقال ابن جزي: "نسبة الحسنة إلى الله، والسيئة إلى العبد تأدبا مع الله في الكلام، وإن كان كل شيء منه في الحقيقة"(٤).

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (١٣٣٩/٣).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٤٨/١٠).

(٣) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٤٠١/١).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢٠٠/١).

المطلب الثاني: قوله سبحانه: {وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ} [النَّجم: ٣١].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: يخبر المولى جلّ جلاله بأنه يملك ما في السموات والأرض، وسيجزي المسيئين بأعمالهم، وسيجزي المحسنين الموحّدين بالجنة(١).

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ مقتضى الصناعة البلاغية أن يكون التعبير هكذا:

ليجزي الذين أساءوا بالإساءة، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، لما فيه من المزاوجة البلاغيّة، ولكنّه عدل عن ذلك فقال: {لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ}؛ تأدّبًا مع الله؛ لأن فاعل "يجزي" ضمير يعود إلى الله سبحانه، فلو قال: ليجزي الله الذين أساءوا بالإساءة، نسب الإساءة إلى الله تقدّست أسماؤه، وجل كبرياؤه.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك الزركشي والسيوطي.

في قوله سبحانه: {لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ} [النَّجم: ٣١]، قال الزركشي في البرهان: مقتضى الصناعة أن يؤتى بالتجنيس للازدواج في صدر الآية كما أُتي به في عجزها؛ لكن منعه توخي الأدب والتهذيب في نظم الكلام، وذلك أنه لما كان الضمير الذي في (يجزي) عائدًا على الله سبحانه وجب أن يُعدل عن لفظ المعنى الخاص إلى رديفه حتى لا

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢٠١/٤).

تنسب السيئة إليه سبحانه فقال في موضع السيئة: بـ(ما عملوا) فعوض عن تجنيس المزاوجة بالإرداف؛ لما فيه من الأدب مع الله[1].

وقال السيوطي: "عدل في الجملة الأولى عن قوله "بالسوءى" مع أن فيه مطابقة للجملة الثانية إلى "بما عملوا" تأدبا أن يضاف السوء إلى الله تعالى"[2].

**

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/٣٨٠).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٣/١٦٣).

المبحث الثالث

ما كان الدّاعي لالتزام الأدب فيه الحياء من الله، أو رجاؤه سبحانه

ويتجلّى هذا المقصد وهذا الدّاعي جليًّا في جملة من الآيات، أذكر أشهرها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: ما جاء على لسان نوح عليه السلام يقول المولى عزّ وجلّ: {وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ} [هُود: ٤٥].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: أنّ نوحًا عليه السلام لما جاء الطوفان وأغرق قومه، وغرق معهم ابنه، تذكّر وعد الله، بأنه سينجيه وأهله، وأتباعه المؤمنين، فقال: ربّ إن ابني من أهلي الذين وعدتني بإنجائهم، ووعدك حقّ، وأنت أعدل من حكم وقضى، تنجي من تشاء، وتقضي على من تشاء بالهلاك(١).

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ نوحًا لم يصرّح بمطلوبه، وهو نجاة ابنه، وإنما لمّح، تأدّبًا مع الله تعالى، وحياءً منه؛ رجاء أن يمنّ عليه بنجاة ابنه.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك القاسمي في محاسن التأويل، والطنطاوي في التفسير الوسيط. قال القاسمي: "وَنادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي: إعلام بأن نوحًا حملته شفقة الأبوّة، وتعطف الرحم والقرابة، على طلب نجاته، لشدة تعلقه به، واهتمامه بأمره. وقد راعى مع ذلك أدب الحضرة، وحسن السؤال، فقال: وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ، ولم يقل: لا تخلف وعدك بإنجاء أهلي، وإنما قال ذلك ففهمه من الأهل ذوي القرابة الصوريّة،

(١) التفسير البسيط (٤٣٤/١١)، تفسير زاد المسير (١١٣/٤).

والرحم النسبية"[١]. واكتفى نوح- عليه السلام- بأن يقول: رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي. وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ، وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ دون أن يصرح بمطلوبه وهو نجاة ابنه؛ تأدّبًا مع الله- تعالى، وحياءً منه – سبحانه –، واعتقادًا منه بأنه- سبحانه- عليم بما يريده، وخبير بما يجول في نفسه"[٢].

المطلب الثاني: ما جاء على لسان أيوب عليه السلام: يقول المولى عزّ وجلّ: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ} [الأَنبِيَاء: ٨٣]. وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: يذكر الله جلّ شأنه قصة نبيّه أيوب، الذي ابتُلي بالأمراض والفقر، ومع هذا صبر، فلما بلغ به الجهد مبلغه دعا ربه، قائلاً: ربّ {أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ} أي: أصابني الجهد، {وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ} أكثرهم رحمة. والضرّ كلمة جامعة لأنواع الشرّ[٣].

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ أيوب عليه السلام لم يصرّح بدعاء الله أن يرفع عنه ما أصابه من الضرّ، أو يشفيه، أو يعافيه، وإنما أخبر عن حاله وسكت؛ تأدّبًا مع الله عزّ وجل، وحياءً منه، ويقينًا منه بأن ربه عالم بما تخفي الصدور[٤].

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك القشيري، وشيخ الإسلام ابن تيميّة، والنيسابوري، وغيرهم.

---

(١) تفسير القاسمي محاسن التأويل (١٠١/٦-١٠٢).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٢١٣/٧).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٢٤٧/٣)، بيان المعاني (٣٢٢/٤).

(٤) ينظر: الرسالة القشيرية (٤٤٩/٢)، مجموع الفتاوى (٢٤٥/١٠)، الروح (٧٢٢/٢)، مدارج السالكين (١٤٨/٣).

قال القشيري: "ولم يقل: ارحمني، بل حفظ أدب الخطاب فقال: {وَأَنتَ أَرحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ}[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَمن هَذَا الْبَاب –أي من باب الأخبار التي تتضمن السؤال– قَول أَيُّوب عَلَيْهِ السَّلَام {أَنِّي مسني الضّر وَأَنت أرْحم الرَّاحِمِينَ} فوصف نَفسه وَوصف ربه بِوَصْف يتَضَمَّن سُؤال رَحمته بكشف ضره، وَهِي صِيغَة خبر تَضَمَّنت السُّؤَال، وَهَذَا من بَاب حسن الْأَدَب فِي السُّؤَال وَالدُّعَاء، فَقَوْل الْقَائِل لمن يعظمه ويرغب إِلَيْهِ أَنا جَائِع أَنا مَرِيض حسن أدب فِي السُّؤَال وَإِن كَانَ فِي قَوْله أَطْعمنِي وداوني وَنَحْو ذَلِك مِمَّا هُوَ بِصِيغَة الطّلب طلب جازم من المسؤول فَذَاك فِيهِ إِظْهَار حَاله وإخباره على وَجه الذل والافتقار المتضمن لسؤال الْحَال وَهَذَا فِيهِ الرَّغْبَة التَّامَّة وَالسُّؤَال الْمَحْض بِصِيغَة الطّلب"[٢]. وقال النيسابوري: "ومما حكاه الله سبحانه من شكوى أيوب قوله: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ...}: ألطف في السؤال؛ حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة عليه، وذكر ربه بما يجب أن يصدر دعاء الرحمة عنه، ولم يصرح بالمطلوب، وحسن الطلب باب من أبواب الأدب"[٣].

وقال ابن عجيبة: "تلطف في السؤال؛ حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة، ولم يصرّح بالمطلوب من كمال أدبه، فكأنه قال: أنت أهل أن ترحم، وأيوب أهل أن يرحم، فارحمه"[٤].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

---

(١) لطائف الإشارات (٥١٤/٢).
(٢) دقائق التفسير (٣٦٢/٢).
(٣)غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤١/٥).
(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤٨٥/٣)، وينظر: روح المعاني (١٩٧/١٢).

أولاً: معنى الآية: اشتكى بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنّ فرعون وقومه بالغوا في أذيّتهم، آذوهم قبل مجيء موسى، وبعد مجيئه، لم يتغير شيء، فكأنهم يقولون: لم نعد قادرين على الصبر أكثر مما صبرنا، فقال لهم موسى: لعلّ فرجكم قريب، لعلّ الله سيهلك عدوكم، ويمكنكم من عرشه وملكه.

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ موسى لم يقطع لهم بأن الله سيهلك فرعون وقومكم، ويمكّن لبني إسرائيل في الأرض؛ تأدّبًا مع الله عزّ وجل.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك أبو حيّان في البحر المحيط، والألوسي في روح المعاني.

قال أبو حيّان: "هذا رجاءٌ من نبيّ الله موسى عليه السلام، ومثله من الأنبياء يقوّي قلوب أتباعهم، فيصبرون إلى وقوع متعلّق الرجاء، ولا تنافي بين هذا الرجاء وبين قوله: {وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ} من حيث إن الرجاء غير مقطوع بحصول متعلّقه، والإخبار بأنّ العاقبة للمتقين واقعٌ لا محالة؛ لأن العاقبة إن كانت في الآخرة فظاهرٌ جدًّا عدم التنافي، وإن كانت في الدنيا فليس فيها تصريحٌ بعاقبة هؤلاء القوم المخصوصين، فسلك موسى طريق الأدب مع الله، وساق الكلام مساق الرجاء"[1].

وقال الألوسي بعد أن فسّر الآية: "وعسى في مثله: قطع في إنجاز الموعود والفوز بالمطلوب، ونصّ غير واحد على أن التعبير به للجري على سنن الكرماء.

(١) البحر المحيط في التفسير (١٤٦/٥)، وينظر: روح المعاني (٣٠/٥)، التحرير والتنوير (٦٢/٩).

وقيل: تأدّبًا مع الله تعالى، وإن كان الأمر مجزوما به بوحي وإعلام منه سبحانه وتعالى"[١].

المطلب الرابع: ما جاء على لسان موسى عليه السلام أيضًا: وهو قول المولى عزّ وجلّ على لسان موسى عليه السلام: {قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ} [الأَعرَاف: ١٥١].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: لما ترك موسى بني إسرائيل وذهب لميقات ربه، ترك عليهم أخوه هارون من بعده، ثم عبد بنو إسرائيل العجل، وعاتب موسى أخاه هارون؛ لأنه كان قد استخلفه في قومه، فلما أبدى له عذره جعل موسى يستغفر له، ولكنه بدأ بنفسه في الدعاء فقال: رب اغفر لي ولأخي.

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ موسى استغفر ربّه له ولأخيه لما عسى أن يكون قد حصل بسبب تقصير منهما؛ مراعاة لأدبا الحضرة، وابتدأ الدعاء بنفسه، مع أنه كان أبعد عن التقصير؛ مبالغة في الأدب.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك الطاهر ابن عاشور، فقال: "وجملة: {قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي} جواب عن كلام هارون، وابتدأ موسى دعاءه فطلب المغفرة لنفسه تأدّبًا مع الله فيما ظهر عليه من الغضب، ثم طلب المغفرة لأخيه فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تفريط أو تساهل في ردع عبدة العجل عن ذلك"[٢].

**

(١) روح المعاني (٣٠/٥)، وينظر: بيان المعاني (٤٠٣/١)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٣٥٥/٥) صفوة التفاسير للصابوني (٤٣١/١).

(٢) التحرير والتنوير (١١٨/٩).

المبحث الرابع

ما كان الدّاعي لالتزام الأدب فيه بيان عظم رحمة الله تعالى

إن من يتتبّع سير أنبياء الله تعالى يجد فيها أنموذجاً بشرياً مميّزاً في كل شؤون حياتهم، ومن فضل الله تعالى علينا أنه سبحانه نقل لنا قصصهم وحواراتهم؛ لتكون لنا منهجاً نتمثّله ونقتدي به في حياتنا عامة وعبادتنا خاصة، في اختيار عبارات الدعاء والطلب منه سبحانه، ولنا في نبيّ الله إبراهيم عليه السلام قدوة حسنة، وفي هذا المبحث سأعرض نماذج من أدب الأنبياء مع ربهم جلّ شأنه؛ لبيان عظم رحمته سبحانه جاعلاً لها في مطالب.

المطلب الأول: ما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام: يقول المولى عزّ وجلّ: {وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ} [البَقَرَة: ١٢٦].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: في الآية مناداة إبراهيم عليه السلام للمولى عزّ وجلّ ودعاؤه لأهل مكة وتخصيص المؤمنين منهم بالرّزق تأدّباً مع الله سبحانه، بعدم تكرار الدعاء بالصيغة التي نهاه عنها حين سأله أن يجعل النبوة في ذريته، فقال سبحانه: {لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ}، وهنا راعى حسن الأدب مع الله فقال: {رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ}، ثم قيّد أهله بقوله: {مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ}.

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام لما قال له ربه: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ}

استفاد من هذا التوجيه، فلما طلب من الله أن يجعل مكة بلدًا آمنًا، وأن يرزق أهلها، خصّ بهذا الدعاء المؤمنين منهم فقط.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك النسفي، والرازي، والبقاعي وغيرهم.

قال النسفي: "أَنَّه لمَّا عَمَّ سؤالَ الإمامة، فقال: {وَمِن ذُرِّيَّتِي} [البَقَرَة: ١٢٤]؟ أُجِيب بقوله: {لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ} ، فتأدَّب، ولم يَعُمَّ في سؤالِ سَعَة الرِّزق، بل خَصَّ كما خَصَّ اللَّهُ تعالى له في إجابة سؤال الإمامة"(١).

قال الرازي: "فقال الله تعالى: {لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ}، فنادى إبراهيم بهذا الأدب، فحين قال: {رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات} قيده بقوله: {مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ}، فقال الله: لا حاجة إلى هذا التقيد، بل {قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلا} ، فكأنه تعالى قال: أما نعمة الأمان فهي دينيّة فلا تحصل إلا لمن كان تقيًّا، وأما نعمة الدنيا فهي تصل إلى البرّ والفاجر، والصالح والطالح، وإن كان كذلك كان إطعام الكافر من الجوع، وأمانه من الخوف؛ إنعاما من الله؛ ابتداء عليه لا بدعوة إبراهيم، فزال السؤال"(٢). قال البقاعي: "وقال: {مَن ءَامَنَ مِنهُم بِٱللَّهِ} الجامع لصفات الكمال {وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ} تقييداً لدعوة الرزق بما قيّدت به دعوة الإمامة؛ تأدباً معه؛ حيث قال: {لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ} ، {قال} الله تعالى معلّماً أن شمول الرحمانية بأمن الدنيا ورزقها لجميع عمرة الأرض: {وَمَن كَفَرَ} أي أُنيله أيضاً ما ألهمتك من الدعاء بالأمن والرزق"(٣).

---

(١) التيسير في التفسير (٤٤٥/٢).

(٢) مفاتيح الغيب (٣٠٠/٣٢).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٥٦/٢).

المطلب الثاني: ما جاء على لسان عيسى عليه السلام: وهو قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٧ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١١٨} [المَائِدَة: ١١٦ – ١١٨].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: الآيات الكريمة حوار بين المولى عزّ وجلّ ونبيه عيسى عليه السلام، تضمّنت أبلغ صيغ الأدب مع الحق سبحانه وتعالى، ففي مطلع الآيات يسأل المولى عزّ وجلّ نبيه عيسى عليه السلام: هل قلت كذا؟ فلم يقل عيسى عليه السلام بأني قلت، أو ما قلت؛ بل قال: {مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ}، أي أنّ هذا لا يحق لي أن أقوله أصلاً، وإن كان صدر مني لكنت علمته يا رب، لأنك تعلم الغيب، فلم يقل: ما قلته؛ بل فوض ذلك إلى علمه المحيط بالكلّ.

ثم استطرد فذكر ما قاله لهم، وهو: أنه أمرهم بعبادة الله وحده، وأنت شهيد على كل شيء يا رب. ثم فوّض الحكم عليهم إلى الله وحده فإنه إن شاء عذبهم، وهم عباده، وإن شاء غفر لهم[1].

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: في الآية أكثر من وجه للالتزام عيسى عليه السلام الأدب مع ربّه عزّ وجل، يتجلّى ذلك، بتبرئه من عدم الأحقّية في ادّعاء الألوهيّة، وبأنه لم يعبّر بأنه ما أمرهم إلا بما أمره الله به، ولكنه عبّر بالقول، فقال: ما قلت لهم إلا ما أمرتني به. وغير ذلك.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤٦٦/١٢) البحر المحيط في التفسير (٤١٧/٤).

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك القشيري، والفخر الرازي، والخازن، وابن عادل الحنبلي، والألوسي، وغيرهم، وسأكتفي هنا بنقل كلام الفخر الرازي، وهو:

"واعلم أن الله تعالى لما سأل عيسى أنك هل قلت كذا؟

لم يقل عيسى: بأني قلت، أو ما قلت؛ بل قال: ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، وهذا ليس بحقّ، ينتُج أنه ما يكون لي أن أقول هذا الكلام، ولما بيّن أنه ليس له أن يقول هذا الكلام شرع في بيان أنه هل وقع هذا القول منه أم لا؟ فلم يقل: بأني ما قلت هذا الكلام؛ لأن هذا يجري مجرى دعوى الطهارة والنزاهة، والمقام مقام الخضوع والتواضع، ولم يقل: بأني قلتُه؛ بل فوض ذلك إلى علمه المحيط بالكلّ، فقال: إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه، وهذا مبالغة في الأدب وفي إظهار الذل والمسكنة في حضرة الجلال وتفويض الأمور بالكلية إلى الحق سبحانه... ثم قال تعالى حكاية عن عيسى: ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم... واعلم أنه كان الأصل أن يقال: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به، إلا أنه وضع القول موضع الأمر، نزولاً على موجب الأدب الحسن، لئلا يجعل نفسه وربه آمرين معا"[(١)].

**

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤٦٦/١٢)، وينظر: لطائف الإشارات (٤٥٧/١)، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٩٤/٢)، اللباب في علوم الكتاب (٦٢٠/٧)، روح البيان (٤٦٦/٢).

المبحث الخامس

ما كان التزام الأدب فيه لإظهار التبرؤ من الحول والقوة، وإظهار كمال الاستعانة بالله والتوكل عليه

وهذا يظهر فيما كان تعليق الأمر فيه على مشيئة الله، فتعليق الأمور على مشيئة الله سبحانه من باب الاستعانة به والحرص على حصول العون والتيسير منه سبحانه، وهو من باب التأدّب معه؛ فإنه لا يكون شيء إلا بعلمه وأمره وارادته جل جلاله، وهذا الأمر الذي استشعره أنبياء الله عليهم السلام وأقوامهم، ومن دلائل ذلك من كتاب الله تعالى ما سأذكره في المطالب الآتية:

المطلب الأول: ما جاء على لسان قوم موسى عليه السلام حين طلبوا بيّنة للاستدلال على البقرة التي أُمروا بذبحها، يقول الله تعالى: {قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ} [البَقَرَة: ٧٠].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: لمّا أمر الله بني إسرائيل بذبح البقرة للاهتداء إلى القاتل، أكثروا من الأسئلة عن مواصفات البقرة، تعنّتًا، فسألوا عن عمرها، وعن لونها، إلى أن: {قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ} أسائمة أم عاملة؟ {إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ} أي: اشتبه علينا البقر وأشكل، {وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ} إلى القاتل[1].

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّهم علّقوا هدايتهم إلى معرفة القتيل، أو بمشيئة الله؛ تأدّبًا مع الله جلّ في علاه، وتأكيدًا لأنّ الهداية بيده وحده سبحانه،

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (١/١٥٦).

ولهذا جاء عن بعض التابعين أنه قال: لو أخذ بنو إسرائيل أدنى بقرة لأجزأت عنهم، ولولا أنهم قالوا: {وإنا إن شاء الله لمهتدون} لما وجدوها(١).

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك أبو حيان في البحر المحيط، والطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير.

قال أبو حيان: "ولم يأتوا بهذا الشرط إلا على سبيل الأدب مع الله تعالى، إذ أخبروا بثبوت الهداية لهم. وأكدوا تلك النسبة، ولو كان تعليقا محضا لما احتيج إلى تأكيد، ولكنه على قول القائل: أنا صانع كذا إن شاء الله، وهو متلبس بالصنع، فذكر إن شاء الله على طريق الأدب"(٢).

قال الطاهر ابن عاشور: "والتعليق ب إن شاء الله للتأدب مع الله في رد الأمر إليه في طلب حصول الخير"(٣).

المطلب الثاني: وفي باب تعليق المشيئة بالله تعالى يقول المولى عزّ وجلّ: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام: ١٢٨].

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية: **أولاً: معنى الآية:** {قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ}: منزلكم، {خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ} إلا أوقات، ينتقلون فيها من النار إلى الزمهرير.. وقيل: الاستثناء من مدّة الخلود، وهو الزمان الذي بين حشرهم، إلى دخول النار، وقيل: الاستثناء من النار، وهو دخولهم

(١) تفسير عبد الرزاق (٢٧٧/١)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٠٤/٢)، بحر العلوم (٦٣/١).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٤١١/١).

(٣) التحرير والتنوير (٥٥٤/١).

الزمهرير، وقيل: ليس المراد هنا بالاستثناء الإخراج، وإنما هو على وجه الأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه[1].

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ الملائكة علّقوا دخول هؤلاء الكفار إلى النار بمشيئة الله تعالى؛ تأدّبًا مع الله، وإسناد الأمور إليه وحده.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك ابن جزي، وابن عجيبة.

قال ابن جُزي: "إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ قيل: الاستثناء من الكاف والميم في {مَثْوَىٰكُمْ} فـ"ما" بمعنى "من"، لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس، والمستثنى على هذا: من آمن منهم، وقيل: الاستثناء من مدّة الخلود، وهو الزمان الذي بين حشرهم إلى دخول النار، وقيل: الاستثناء من النار، وهو دخولهم الزمهرير، وقيل: ليس المراد هنا بالاستثناء الإخراج، وإنما هو على وجه الأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه"[2].

وجاء نحوه عند ابن عجيبة في البحر المديد في تفسير القرآن المجيد[3].

المطلب الثالث: وفي تعليق المشيئة بالله سبحانه يقول الله على لسان شعيب عليه السلام: {قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ} [الأعراف: ٨٩].

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢٧٥/١)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١٧٠/٢).
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢٧٥/١).
(٣) (١٧٠/٢).

وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: يقول المؤمنون من قوم شعيب لقومهم: إننا لن نعود في ملتكم، وإن عدنا في ملتكم اتباعًا لدعواكم أن الله أمركم بالكفر، نكون قد افترينا على الله كذبًا عظيما، {وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا} أي: ما كنا لنرجع في ملتكم بعد إذ وقفنا على أنها ضلالة إلا أن يريد الله إهلاكنا، فإن الله يسعد من يشاء بالطاعة، ويشقي من يشاء بالمعصية(١).

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّهم جازمون بصحة ما هم عليه من الدين، وبطلان ما عليه أقوامهم، ولهذا هم متأكدون بأنهم لن يعودوا إلى دين قومهم، ولكن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، فهو سبحانه يضلّ من يشاء بعدله، ويهدي من يشاء بفضله، ولهذا علّقوا عدم عودتهم إلى دين قومهم بمشيئة الله؛ تواضعًا لله سبحانه، وتأدّبًا معه.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك ابن جزي، وأبو حيان، وابن القيّم وغيرهم. نذكر منهم ما يلي:

قال ابن جُزي: "هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأدب مع الله وإسناد الأمور إليه، وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم: أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء، فإن قلت: إن ذلك يصح في حق قومه، وأما في حق نفسه فلا فإنه معصوم من الكفر؟ فالجواب: أنه قال ذلك تواضعاً وتأدباً مع الله تعالى، واستسلاماً لأمره"(٢).

(١) التفسير الوسيط للواحدي (٣٨٨/٢).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢٩٥/١).

وقال أبو حيان: "وقيل: هذا الاستثناء إنما هو تسليم وتأدب"(١).

وقال ابن القيّم: "فردّ الأمر إلى مشيئة الله وعلمه، أدبًا مع الله، ومعرفةً بحقِّ الرُّبوبيّة، ووقوفًا مع حدِّ العبوديّة"(٢).

المطلب الرابع: وعلى لسان موسى عليه السلام يقول سبحانه: {قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا} [الكَهف: ٦٩]. وسأتناول الآية وما فيها من آداب ومعاني ودلالات في النقاط الآتية:

أولاً: معنى الآية: علّق صبره، وطاعته له بمشيئة الله تعالى؛ استعانةً به، وحرصًا على تقدّم التيسير، وتأدّبًا مع الله عزّ وجل، فقال: ستجدني صابرًا مطيعًا لا أعصي لك أي أمر بمشيئة الله تعالى(٣).

ثانيًا: بيان وجه التزام الأدب في الآية: أنّ موسى عليه السلام وعد الخضر بأنه سيجده صابرًا مطيعًا، وتأدّبًا مع الحضرة الإلهية وأنّ الإنسان ضعيف لا يستطيع التزام أمر إلا بمشيئة الله علّق ذلك بمشيئة الله عزّ وجلّ.

ثالثًا: مَن نصّ من المفسّرين على أنّ ذلك من الأدب مع الله: نصّ على ذلك ابن عطيّة، والطوفي، والنيسابوري، وحكاه الرازي عن المعتزلة. قال ابن عطيّة: "هذه مخاطبة المستنزل المبالغ في حسن الأدب"(٤). قال الرازي: "إن الله تعالى قد يأمر بالشيء مع أنه لا يريده، قالت المعتزلة: هذه الكلمة إنما تذكر رعاية للأدب فيما يريد الإنسان أن يفعله في المستقبل"(٥). وقال الطوفي: "وإنما فائدته أن

---

(١) البحر المحيط في التفسير (١١٤/٥).

(٢) مدارج السالكين (٥١٥/٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٨/١٦)، التيسير في أحاديث التفسير (٤١٣/٦).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٣٠/٣).

(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤٨٥/٢١).

الإنسان إذا تأدب مع الله– عز وجل– بتعليق الأمور بمشيئته وتقييدها بإرادته، كان أجدر بحصول مراده وأمنيته"[١]. وقال النيسابوري: "وقوله إِنْ شاءَ اللَّهُ أدب جميل"[٢].

**

(١) الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية (ص٤١٥).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٣٩/٥).

الخاتمــة

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: {كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ} [ص: ٢٩]، وحيث منَّ الله تعالى على فريق من خلقه بأن يسّر لهم تدبر آياته والوقوف على معانيها ودلالاتها، ومن ذلك ما بيّنه أهل التفسير من مضامين عبارات القرآن الكريم، وأنّ في صيغتها ودلالتها أدبٌ مع المولى عزّ وجلّ، وله الحمد على ما وفّقني إليه من تتبع هذه الآيات ونقل أقوال أهل التفسير فيها، وما دلّت عليه من معاني الأدب مع المولى جل جلاله، وخلصت بعد ذلك إلى مجموعة من النتائج، أبرزها ما يلي:

- الأدب في الخطاب مع المولى عزّ جلّ هو منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام، فهم قدوة أقوامهم في ذلك، ولكل نبيّ صورة من صور هذا الأدب.
- ضرورة أن يكون القرآن منهجاً في الاقتداء بمن ذكرهم الله تعالى فيه وتعلّم أدب الألفاظ معه سبحانه، واختيار الصيغ التي تليق بجلاله وعظمته، حين مناجاته، والتحدث عنه سبحانه.
- في تعليم الأدب مع الله تعالى أن الشرّ لا ينُسب إليه أدباً معه سبحانه، وإن كان منه خلقاً، وتقديراً، كما قال تعالى: {قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ} [النِّسَاء: ٧٨].
- من قصة موسى مع الخضر عليهم السلام نتعلّم أن العالم مع كونه عالماً لا بدّ له من أن يلتزم منتهى الأدب مع مَن هو أعلم منه، وألا يعترض على الطريقة التي يختارها معلمه لتعليمه، فإن موسى- عليه السلام- قد راعى في مخاطبته للخضر أسمى صيغ الأدب اللائق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- إن تعليق الأمور على مشيئة الله سبحانه من باب الاستعانة به والحرص على حصول العون والتيسير منه سبحانه، وهو من باب التأدب معه، فإنه لا يكون شيء إلا بعلمه وأمره وإرادته جل جلاله.

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، لنجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت ٧١٦ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.
- البحر المحيط (تفسير أبي حيان)، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، الطبعة: الأولى. دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.
- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة: دار إحياء الكتب العربية الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ.
- بيان المعاني، المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٥م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- تراث أبي الحسن الْحَرَالِّي المراكشي في التفسير، ويشمل مجموعة من مؤلفات الحرالّي في التفسير، منها: (مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل، وعروة المفتاح، ونصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران وغيرها)، لأبي الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ التُّجِيْبِيُّ، الحَرَالِّيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ (ت ٦٣٨هـ)، مستخرجة من: تفسير البقاعي «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، تصدير: محمد بن شريفة، عضو أكاديمية المملكة المغربية، تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان، الناشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي الغرناطي، أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، طبعة: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ.
- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، حققه ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
- تفسير الإمام ابن عرفة، المؤلف: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: د. حسن المناعي، الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م.

- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.
- تفسير العثيمين، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- تفسير العز بن عبد السلام= تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للشيخ محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.
- التفسير الوسيط للواحدي، أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

- تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ (الناشر: دار الكتب العلمية دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (ت ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان.
- التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد المكي الناصري (ت ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- التيسير في التفسير، لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (٤٦١ – ٥٣٧ هـ)، المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، الناشر: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ.
- جامع البيان في تفسير القرآن، لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (المتوفى: ٩٠٥هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.
- الجامع لأحكام القرآن، لشمس الدين القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، طبعة: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.
- حاشية الشهاب الخفاجي علي تفسير البيضاوي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت.
- الخواطر، للشيخ محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد السيد الجليند، الناشر: مؤسسة علوم القرآن – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.
- الرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.
- الروح ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١)، حققه: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، خرج أحاديثه: كمال بن محمد قالمي، الناشر: دار عطاءات العلم. (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م (الأولى لدار ابن حزم).
- روح المعاني= في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبعة: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
- شرح النووي على مسلم، للإمام محي الدين النووي، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت –لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري وآخران، دار الطباعة العامرة – تركيا، ١٣٣٤هـ..

- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، وفيها تعليقات الشيخ ابن باز، دار السلام – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.
- فتح الرحمن في تفسير القرآن، لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلَامِيّةِ)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لأبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت ٧٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، الناشر: دار الوفاء . المنصورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح با عثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.

• لباب الآداب، لأسامة بن منقذ، أبي المظفر، الكناني الكلبي الشيزري (ت ٥٨٤هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

• لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

• اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

• لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على بن جمال الدين بن منظور الأنصاري، طبعة: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

• لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

• مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة: مجمع الملك فهد: ١٤٢٥هـ.

• محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- مدارج السالكين في منازل السائرين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ – ٧٥١)، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٤١هـ – ٢٠١٩م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت:نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
- المطلع على ألفاظ المقنع، لأبي عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
- معاني القرآن للنحاس، أبي جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٣٨ هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- معجم اللغة العربية المعاصرة ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.
- المغانم المطابة في معالم طابة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٧٢٩ – ٨١٧ هـ)، الناشر: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

• المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (ت ٦١٠هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

• مفاتيح الغيب (المعروف بالتفسير الكبير)، للرازي، أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، التيمي، الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

• المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

• مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

• نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

• نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس البسيلي التونسي (المتوفي ٨٣٠ هـ)، مما اختصره من تقييده الكبير عن شيخه الإمام ابن عرفة (ت ٨٠٣ هـ) وزاد عليه، وبذيله (تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي) المتوفي (٩١٩ هـ)، تقديم وتحقيق: الأستاذ / محمد الطبراني، الناشر: منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – المملكة المغربية، الطبع: مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

* * *